تتنوع حركاته . وتتباين طرقها . و باتساع دائرة المعلومات يتفرع من الحس الرغبة ثم الارادة ثم التوجه نحو المرغوب فتنضبط الحركات تحت قيادة العلم والارادة فتسمى حركات ارادية .

﴿ تاثير الوراثة فى الاخلاق ﴾

اريد بالاخلاق صفات النفس الاجتماعية التى ينال الجماعة منها ضرر أو نفع كالحلم والغضب والامانة والكرم والشجاعة وغير ذلك .

ومتى لاحظت احدى الخواص السابقة وهى التاثر بصور الاصول ومحاكاتها فى الفروع أمكنك فهم تاثير الوراثة فى الاخلاق . فلابد أن ينتقل الى صورة الفرع ما فى صورة الاصل عند الغضب والحلم والامانة الى غير ذلك و ينطبع ذلك فيها تبعا للصورة العمومية . فيخرج الطفل فيه جراثيم تلك الاخلاق . وكل ذلك مشاهد بادنى تامل فى أفراد الاسرات أصولا وفروعا .

﴿ العلم ﴾

ربما تسالنى بعد ذلك عن العلم الذى هو أهم صفات النفس فاقول — أعرض على عين فكرك جيوش معلوماتك وتامل فيها جيدا تجدها كلها مجموع آثار متنوعة حادثة من تاثير صفات المادة الجسمانية . ومن هذا تعلم سبب فقدك صنفا من المعلومات وهو كنه الشىء الذى تتعلق به تلك الصفات والاحوال . و بالحرى تعرف ان كل معلوماتك قشور خالية من اللب الذى هو الذات .

والسبب فى ذلك أن المدرك فى الانسان هو الروح الكهربائى الذى فى أول الامر يكون ذا احساس بسيط . وهو احدى خواصه الطبيعية انما يتنوع هذا الاحساس البسيط و يصير ادراكا حقيقيا بعد أن يتم نمو الحواس و بعد أن تستعمل فى ادراك صفات المادة الجسمانية وأحوالها بتعرضها لفعل تلك الصفات فيها والاحوال .

اذن لاشىء من العلم يحاصل للنفس قبل تمام نمو الحواس وقبل استعمالها فى تحصيله . فاذا تمت واستعملت فى ذلك صارت ابوابا للعلم الذى هو مجموع آثار حادثة فيها ثم منتقلة منها الى الروح الكهربائى الاعظم أعنى الذى مقره المخ ثم هى منطبعة فيه ثابتة له .

عد الى عرض تلك الآثار على عين فكرك تجدها منقسمة الى فرق وطوائف . للبصر منها طائفة وللمس منها جماعة ولكل من الذوق والشم والسمع منها فرقة .

وتجد المرئيات منحصرة فى صنفين من المعلومات . أحدهما تابع ثابت لمتبوعه أى وجد لا يفارقه ابدا ويسمى صفات . والثانى تابع يقوم بمتبوعه حينا و يفارقه حينا بدون تغير فى جوهر المتبوع ويسمى أحوالا .

الصفات المرئية كاللون والتحيز والانتهاء والتشكل والامتداد فى جهة الطول والعرض والارتفاع وكالوحدة والكثرة .

الاحوال المرئية كالاستقامة والاعوجاج والميل والانقلاب والنوم

والبعد والحركة والسكون والقرب والفوقية والتحتية والنوم والظلام.

وتجد الملموسات منحصرة في صفات وأحوال . فالاولى كالصفات المرئية الا اللون وكالمزج والخفة والثقل . والثانية كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبس والبال والجفاف والصلابة واللين والخشونة والملاسة .

وتجد المذوقات منحصرة في الطعوم . والمشمومات منحصرة في الروائح والمسموعات منحصرة في الاصوات . وكلها صفات .

فالعلم هو الآثار الحادثة من تاثير الصفات والاحوال في روح الانسان وقد يطلق على نفس الاحساس بتاثير الصفات المذكورة والاحوال . ويسمى حينئذ الادراك أو الشعور .

ومما تقدم يعلم أنه لا سبيل الى ادراك كنه ذات وأن التطلع الى الوقوف على كنه ذات طلب للمستحيل الذي لا يدرك أبدا . وانما السبيل ميسرة الى ادراك صفات وأحوال .

فلا يسوغ لعاقل بعد ذلك أن يطلب ما استحال عليه وما لا سبيل اليه وهو كنه الشيء .

ولقد ظن قوم انهم بتعريف الانسان بانه حيوان ناطق وصلوا الى ادراك كنه ذات الانسان . مع أن حيوانا معناه حي . وحي وناطق صفتان فانظر كيف ظنوا أن الصفات ذات . كما ظن آخرون انهم بتعريف الذهب أنه فلز أصفر وصلوا الى كنه الذهب مع أن فلزا معناه جسم قابل للطرق

والانسحاب لماع وهو بهذا المعنى ـ واصفر صفتان كما لا يخفى .

ومن هذا يتبين لك اخيرا أنه يستحيل على الانسان ادراك كنه شيء بسبب فقده الحاسة الخاصة بذلك . ومثال ذلك من يولد اعمى . انزاه يدرك الالوان و يميز بعضها من بعض . انى له ذلك وقد عدم الحاسة المعدة لادراك الالوان وهى البصر .

﴿ التربية العلمية ﴾

من هنا يعلم أن من اراد أن يربى ابنه تربية علمية يجب عليه أن يلفته الى صفات الموجودات واحوالها . فيعرض عليه الشيء و يامره بالنظر فيه ليدرك كل ما يتاتى للبصر ادراكه من صفاته واحواله ولا يسا م أن يكسره له أن كان صلبا أو يمزقه أن كان لينا ليرى ما فى جوفه من الصفات . ثم يامره بجسه ليعرف فيه ما يتوصل الى ادراكه باللمس و يامره برفعه وحمله ليعرف ثقله وهكذا لا يتركه حتى يمر عليه بكافة حواسه . فيعتاد الولد الملاحظة وتنشا فيه قوة الانتباه والتيقظ والتمييز التام . ولا بد أن يذكر بجانب كل شيء اسمه ليرسم فى ذهنه بجانبه فى صورته . حتى اذا ذكر اسمه امام السامع ذكر باسمه صورته . وامكن بذلك التفاهم والوصول الى معلومات ارقى

﴿ افادة العلم للعقل ﴾

تاثر النفس بصفات المادة يكون متنوعا بالحواس وهو مع ذلك يقع مقترن الانواع بحيث يكون للشيء صورة عمومية هى أم الصفات التى تتوهم

النفس انها ذات الشيء المتبوعة بالصفات والاحوال و يكون مع الصورة العمومية صور جزئية متميزة فيها بحسب الحواس وهي صور الصفات والاحوال . فمثلا الخشب له صورة عمومية في النفس وفيها جملة صور جزئية لصفاته واحواله كالصلابة واللون وغير ذلك

فوجود صور عمومية في النفس لانواع المادة الجسمانية مقيدة بصور جزئية للصفات والاحوال يسمى عقلا . أي قيد الآن الصور العمومية مقيده حينئذ في النفس بالصور الجزئية

وعقل التابع بالمتبوع له فائدة عظيمة جدا . اذ به يتم التمييز الكلي بين أنواع المادة الجسمانية . وينتج منه بعدمدة التمييز بين كافة الموجودات

﴿ تكوين العلم للنفس ﴾

متى وصل الروح الكهربائي العامل في تماسك البدن الى هذا الحد اعني صار محلا لآثار الصفات والاحوال الجسمانية وانقلب بتميزها فيه الى مميز عاقل سمي نفسا لانه في هذه الحالة يكون قد ابتدأ يدبر بدنه ومعنى النفس الروح المدبر للبدن . واحساسه الذي بهذه الصفة هو الادراك الحقيقي . وهو غير احساس الروح الكهربائي قبل نمو الحواس واشتداد الاعضاء فان هذا احساس مركب . اذ هو احساس باثر الصفة أو الحال واحساس بمغايرة أثرها لغيره وانتقال من ذلك الى المقارنة بين الاثرين

﴿ الحافظة ﴾

ينشا من اعتياد النفس التمييز بين آثار المؤثرات ثبوت صور المؤثرات فيها فيسمى ذلك بالحفظ و يقال حينئذ ان فى النفس قوة حافظة والمشاهد أن هذه الصور لا تثبت فى النفس الا اذا وقعت فيها واضحة متميزة تماما. فلذا يجب أن تعرض الاشياء بوضوح على المتعلمين وأن يوضح لهم فى كل شىء لتثبت صورته فى النفس

﴿ الذاكرة ﴾

متى احست النفس مرة ثانية بالشىء أو بمقارنه استعادت صورته الاولى ومثلتها فيخيل للمرء انه مشاهد له . وهذا يسمى الذكر . و يقال حينئذ أن فى النفس قوة ذاكرة

﴿ أقسام المعلوم ﴾

اذا سالت احدا عن شىء فانه ينظر فان وجد صورته فى ذهنه قال أنه موجود والا اجاب بانه معدوم ولا ثالث لهذين فعلى ذلك المعلوم اما موجود واما معدوم

﴿ أدلة الوجود ﴾

متى ترقت النفس فى درجات التمييز تظهر لها خاصة جديدة وهى الاحساس باثر الشىء والاستدلال بالاثر على وجود المؤثر . واحساسها بعد ذلك اما يكون بالحواس . وفى هذه الحالة يسمى الحس . واما يكون بدون الحواس بان تجد الشىء بنفسها من نفسها مباشرة و يسمى الوجدان .

ومثاله أن تجد ها غضبي أو فرحة أو متألمة أو ذات وجود خاص الى غير ذلك مما لا تصرف للحواس فيه . ثم ترقى النفس بعد ذلك الى مقارنة الصور الخارجية بالصور الذهنية وقياس أسباب تلك باسباب هذه واستنتاج حصول المسببات المبنية على الاسباب المعلومة أو بالعكس . فهذا التصرف في الصور الحسية المودعة في الذهن أعني المحفوظة يسمى تصرفا عقليا والاستدلال به على وجود الشيء أو انعدامه يسمى استدلالا عقليا

فادلة وجود الشيء ثلاثة الحس والوجدان والعقل . وقد عرفت مدلولات الحس . واما الوجدان فهو ضرب من الحس خاص بادراك الامور النفسية . و به تدرك النفس وجودها الخاص وتشخصها ومباينة غيرها لها وتدرك ما يعرض لها من الداخل . ومتى اشتغلت النفس بترتيب المعلومات وقياس غائبها بحاضرها واستنتاج ما يحصل مما حصل والاستعداد لمقارعة ما عساه أن يحصل قيل انه قد وصل العقل الى حد الكمال . وحينئذ يصح أن يعتمد على أدلته واحكامه و يعامل في التصديق معاملة الحس والوجدان لانه فرع منهما وخلاصة لهما

وعلى كل حال دليل صحة حكمه أن يكون الحكم مستنبطا من الصور الحسية والوجدانيات ولذلك انحصرت دلالته في اربعة اشياء . الاستدلال على وجود الشيء بوجود فعله أو أثره . أو بوجود ملازمه أو خبره .

مثال استدلاله بوجود الفعل على فاعله أن تجد في الطريق قطعة من المنسوج فانك تحكم بانها صنعت بيد نساج . أو تجد بيتا فانك تحكم بانه صنع

بيد بان . ذلك لانك تعلم بما فى ذهنك من الصور الحسية بان مادة الاجسام قاصرة بذاتها عن الحركة . فلا يتاتى لها ان تنسج نفسها او تبنى نفسها ولانك لم تر بيتا بنى بدون بناء ولا ثوبا نسج بدون نساج .

مثال استدلاله بوجود الاثر على وجود المؤثر أن تجد فى طريق آثار الاقدام و بكر العجلات فانك تحكم بوجود المشاه . ذلك بما ثبت فى ذهنك من صور تلك الآثار مقرونة بصور المؤثرين .

مثال استدلاله بوجود ملازمة الشىء على وجود الشىء أن تحكم بوجود الذات متى وجدت شيئا من الصفات والاحوال الملازمة لها . كان تحكم بوجود ورق الورد أو مائه بمجرد شم رائحته . أو بخشونة الشىء بمجرد رؤية النواتئ فيه . أو بوجود الشمس بمجرد الشعور بحرارتها . أو بوجود الحيوان بمجرد سماع صوته . أو بوجود العسل بمجرد ذوقه . ذلك لان الصور التى ثبتت فى ذهنك بالحس تدل كلها على أن هذه الاشياء لم تقم مرة واحدة بنفسها وأنها دائما صفات لجسم . فالشىء الذى يسمى جسما دائما يحملها فهو الاصل وهى محمولة عليه أى تابعة له . فمتى وجدت وانى وجدت حكم العقل بوجود متبوعها بعد أن تفتش النفس الصور التى طبعت فيها كافة فلم تجد الا تابعا لمتبوع و وجدت امثال تلك الاشياء تابعة بصورة عامة مسماة باسم عام بحيث تعتبر متبوعة بصور جزئية هى صور الصفات والاحوال .

مثال الاستدلال بالخبر على وجود المخبر عنه أن يخبرك أحد بقيام الحرب

الآن بين الدولة التركية ودول البلقان ـ بلغاريا والصرب والجبل الاسود واليونان . عقب قيامها بين الترك والطليان . بلافتور ولاتوان . فتعلم بوجودها وان كنت لم ترها .

غير أن العقل أصبح يحتاط فى الاستدلال بالاخبار على وجود المخبر عنه لما قد حدث فى الاخبار من خروجها عن أصلها . فقد كان الاصل فيها أن تكون عبارة عما رآه المخبر أو سمعه ممن رأى وشاهد . ولما عرف الناس الاجتماع والمدنية فشا الكذب فى اخبارهم وأصبح كثير منهم يخبرون عما لم يروا ويحدث عنهم من لم يسمع .

ذلك لان حاجات المدنية كثيرة جدا مع كونها تبعد عن النشاط فى العمل والقيام بالواجب لما فيها من الترفه عادة والميل الى الراحة . فكثرة الحاجات مع الترفه تدعو للاستعانة بالغير فى قضاء تلك الحاجات . وهنا يتفرق الناس فى الاستعانة ويتفننون فيها . فمنهم من يستعين على قضائها بالمال ومنهم من يستعين عليها بالوعد والوعيد ومنهم من يستعين بالاحتيال والكذب . ومتى توجهت النفس الى شىء من ذلك صار مقصدها ومحط آمالها ثم لا يلبث أن ينشب فيها ويصير كجزء من وجودها . ولما فشا الكذب فى الناس وحققه الناس فى الناس انطبع فى الاذهان صور للكذابين كثيرة تتنازع صور الصادقين فيها وتكاثرها وتعارضها وتغالبها . ومن طبع النفس أن تذكر الشىء بشبهه . فاذا جاء احد بخبر ذكرت صور

المخبرين كافة وهنالك تجد من صور الصادقين ما يساوى صور الكذابين ووجدت من الصنف الثانى معارضة للصنف الاول . فهى لذلك تمتنع من تصديق الاخبار لاول وهلة وأصبح الشك فى صحة الاقوال واقعا وتصديق القول بمجرد سماعه مستحيلا . فاحتاج الناس فى تمييز الاخبار الصادقة من الكاذبة الى أدلة عقلية أخرى تؤخذ أيضا من الصور الحسية المودعة فى الذهن . وهى ما يأتى :—

(١) التواتر . بان يرد الخبر من جماعة غير متواطئين على الاخبار به بألا يسبق لهم اجتماع وتشاور فى الاخبار به واصرار على اصداره بصورة خاصة . ويلزم هذا أن يكون كل واحد منهم مستقيا خبره من مصدر خاص .

(٢) أن يشهد الحس بصدقه — كان يخبرك احد أن كاتب هذا الخطاب هو ابراهيم فتجد فى المكتوب علامة له لا يمكن لاحد أن يقلده فيها .

(٣) ان يطابق الخبر المعلوم — كان يعرف لك أحد الرسول بانه عامل يبلغ الناس الرسائل . فان ذلك هو المعلوم فى الرسول

(٤) أن تشهد الحال بصدقه — كان ترى فى سجل حكومة منتظمة خبرا . فان انتظام الحكومة حال تحول دون تكذيب اخبارها .

(٥) التجربة — كما اذا أخذت خبر الوقت من ساعة جيب لا تقدم ولا تؤخر . أو أخذته ممن لم يعتد الكذب

ولابد مع ذلك أن تتوفر شروط فى المخبر وهى ما يأتى :-

شروط المخبر :-

(١) الا يبدو على وجهه ما يناقض خبره . كان يضحك وهو يخبر بما يبكيه الا أن يكون ذلك عادة له معروفة .

(٢) أن يكون سليم الحاسة التى يدعى وصول الخبر اليه منها

(٣) الا يكون دأبه النقل عن طائفة اشتهرت بالكذب أو التشيع لاهل الباطل .

(٤) ان يكون دأبه التحرى فلا يخبر الا عمن شاهد او سمع ممن شاهد .

(٥) الا يكون سريع النسيان

(٦) الا يكون هناك مانع من وصول الخبر اليه لبعده وانقطاعه عن الناس أو لكونه سجينا فى سجن منفرد محرم عليه فيه مخالطة المخبرين

شروط الخبر :-

(١) الا يكون فيه تناقض . كان يقال الجسم والحمار والبقرة جسم واحد او روح واحد . أو هذا السواد أبيض أو هذا القلم موجود معدوم الآن . فان التعدد ينافى الوحدة . والشىء لا يتصف بضده ولا يمكن أن يقوم متناقضان بشىء واحد فى آن واحد .

(٢) الا يخرج معنى الخبر خروجا فاحشا عن الحد المعهود لمثله . كان يقال كان رجل فى الزمن الغابر يسمى عوج بن عناق بلغ من الطول مبلغا كبيرا حتى لقد كان ما بين كعبه وعقب قدمه أكثر من ١٢٠ زراعا هاشمية .

و يفسر الذراع الهاشمية بالتي تبتدىء من الابط وتنتهي باطرف الانامل .

(٣) الا يكون مدلول الخبر منسوبا الى زمان لا يتاتى وقوعه فيه أو مكان كذلك كان يخبر بوجود خضرة قطن فى مصر فى شهر يناير . أو يدعى وجود درة تزن قنطارا فى حويصلة عصفور لا يزن أوقية .

وهناك أمور أخرى لا تخفى على الاذكياء يجب ملاحظتها فى المخبر والخبر وهى تدرك بالذكاء والفطنة كالغمز والهمز فى الخبر . فمتى لاحظنا هذه الاشياء فى الاخبار امكننا أن نميز صادقها من كاذبها أو أن نستدل بعد ذلك بها على وجود الشيء

﴿ تنازع الطبع والعلم ﴾

علمت مما تقدم أن الروح المكهربائى فيه خاصة محاكاة صور الاصول فى الفروع وعلمت أن المحاكاة ليست قاصرة على محاكاة الصور الجسمانية المكونة من صور اعضاء بل عامة فى الصور الاخلاقية فكل تيار كهربائى جار فى دم الاب والام يحمل صورتيهما بما فيهما من التاثر الاخلاقى فاذا فرض أن الاب كان غضبان حين مضاجعة الام فان التيار المكهربائى الجارى فى الدم حينئذ المنتقل منه الى النطفة يكون حاملا لصورة الاب الجسمانية بما فيها من الصورة الاخلاقية صورة الغضب

فاذا اختلط هذا التيار ببويضة الام نشأ الجنين غضوبا

وكذا اذا جرى تيار كهربائى فى دم الام الى بويضتها المستعدة

للتلقيح وكان جربانه فى وقت غضبها فان التيار المذكور يحمل الى البويضة الصورة الغضبية علاوة على الصورة الجسمانية . وهناك تختلط الصورتان صورة الاب وصورة الام فيتكون منهما صورة واحدة بالذات . فينشأ من ذلك وليد غضوب .

ومن ثم لزم ألا يقرب رجل زوجه فى المضاجعة وهو غضبان ولزم الاتضار الحامل فى بدنها أو مالها أو ماتغضب من أجله فان ذلك يورث ولدها خلقا ذميما .

ولقد علمت أن العلم بمعنى المعلوم جملة آثار لصفات المادة الجسمانية وأحوالها مطبوعة فى النفس بكسب الانسان . اذ لو لم يفتح عينه مثلا ما أدرك شيئا من المرئيات .

لكن تلك الآثار مع كونها تنطبع فى النفس بالكسب تصير مثل الآثار المطبوعة بالوراثة لان تكيف النفس بهما واحد ومحاكاتها لصور القديم والحديث خاصة واحدة . فللنفس بالآثار العلمية صورة ولون تتلون به أحيانا كما أن لها بالطباع الموروثة صورة ولونا .

واذا كانت الصور العلمية وقعت واضحة فى النفس كان لها الغلبة على الطباع لانها تكون مرآة للنفس تجتلى بها العواقب . والنفس أحرص ماتكون على العواقب . لانها تحب وجودها وحياتها وتود بقاءها . فلذا تخشى مايضر حياتها ووجودها أو ينافى

بقاءها وتتحبب الى مايزيد وجودها ظهورا وحياتها قوة ومتانه . فلذا تحرص على العواقب.

فاذا هبت للاقدام على عمل كانتقام من عدو مثلا فتذكرت صورة أهل الشر ووجدت فى صورتهم الشريه آخرا سوءا ارجأت الانتقام واخفته الى حين فيرى أن الانسان حينئذ حليم صابر ولقد يترك الشر جملة كراهة لعواقبه ويكل الانتقام الى غيره و يفرغ قلبه من الاصرار عليه . فالعلم يقلب المرء من متهور الى شجاع الى حليم صابر و يقلب المبذر الى كريم يبذل فى مكان البذل.

اما اذا وقعت الصور العلمية فى النفس غير واضحة كان للطباع الغلبة . لكن بعد نفاذ مقتضى الطبع تنطبع صورة جديدة فى النفس توضح ماغمض من الصور العلمية . فتندم النفس على مافرط منها أن كان ضارا وتسر به ان كان نافعا . وما أدى الى ندم أوالى سرور بعد فعله يسمى تجربة . والعلم المستفاد بالتجربة أرسخ فى النفس وأنفع.

ومما تقدم تعلم أن بين العلم والطبع نزاعا مستمرا . فلذا ترى فى نفسك أحيانا كان شخصين فى بدنك يتنازعان فى أمورك . فمنهما من يأمرك بشئ ومنهما من ينهاك عنه . والحقيقة أنه ليس هناك شخصان يتنازعان وانما هما العلم والطبع .

﴿ تاثير العلم فى الاخلاق ﴾

ينتج مما تقدم أن النفس متى تعلمت علما صحيحا واضحا لاتنقاد لانفعالاتها وشهواتها . بل تنقاد الى السلم وتتنور به النافع والضار لتحصل الاول وتتجنب الثانى . غير مبالية بما يعارضها من الطباع والعادات لانها تحب الحديث جدا . وبهذا تتغير أخلاقها الناشئة من طباعها الى أخلاق علمية مؤسسة على قواعد معقولة وتجارب صحيحة . فاصبح النهور مثلا الذى كان قبل العلم شجاعة — رذيلة وأن الصبر والتأنى فى الشر هو الفضيلة الى غير ذلك .

﴿ تشوق النفس للعلم ﴾

لعمرى لقد أصبح من السهل عليك ادراك سبب تشوق النفس للعلم . فانه كالجزء لها المكبر لبنائها أو كالسلاليم الذى ترتقى بها الى الشرف والعلو . أو النور الذى ترى به مقومات الحياة ومؤيدات الوجود . ومن ذا الذى لايحرص على جزئه حرصه على كله . أولا يريد لنفسه الشرف والرفعة . أو يكره أن يقوى حياته ويديم وجوده .

شوق النفس الى العلوم طبيعى فيها من بعد أن صارت بها نفسا . ولهذا نرى العقلاء يطلبونه بالاسفار البعيدة ولايبالون بما يتكبدونه من الاهوال والمشاق التى يلاقونها فى السير فى الصحارى والقفار وفى الركوب على البحار . لكونهم يشعرون أن بناء النفس صغير

لا يرفعه سوى العلم . وأن احساسها ناقص لا يتم الا بالعلم . وأن شرفها وفضلها على الروح الكهربائى انما هو بالعلم .

﴿ تغلب العلماء على الجهلاء ﴾

علمت أن العلوم تغير الروح الكهربائى وتجعله نفسا . وأن النفوس بلا علم روح كهربائى صرف متنوع الاحساس فقط بما ركب عليه من الآلات والاعضاء . وأن النفوس تباين الروح الكهربائى بمطبوعاتها العلمية الجديدة .

فينتج من هذا انه كلما زاد الروح الكهربائى علما زاد بعدا عن اصله وقربا من فرعه وهو النفس الى أن يصل الى حد فيه يكون مباينا لاصله كل المباينة ويصير نفسا حقيقية ذات طباع راقية وصفات عالية . حينئذ يرى نفسه شريفا رفيعا سيدا وأن الروح الكهربائى الذى هو اصله عبد خادم له هو وما فى درجته كالروح الحار وما تحت درجته كالمادة الجسمانية وما فوق درجته كالنبات والحيوان وبعض افراد الانسان الذين لم يزدهم العلم بعدا عن حقيقة الروح الكهربائى . وهذه العقيدة الطبيعية فيها باعتبارها نفسا تدعوها للتغلب على هذه الطوائف بلا فرق بين ميتها وحيها لانها تعد تفاوتها فى الصور والحركة فرقا صغيرا يختلف به نوع الانتفاع بها فقط ولا يمنع من استخدامها واستعبادها . ولمزية العلم فى الروح الساكن فى الدماغ ساد بالطبع ذلك الروح على سواه مما فى سائر الاعضاء . فاذا كان هذا هو

حال النفس فى بعضها الذى هوجزء منها متصل بها فكيف حالها مع الجهلاء فى الناس . فهى تستخدم الروح الكهربائى والنبات والحيوان والجهلاء من افراد الانسان فى جر النفع كما تستخدم اجزاءها المنبثة فى سائر البدن خلاف ما كان منها فى الدماغ .

فاذا ترقت النفوس بالعلم شعرت شعورا ارقى من ذلك وهو أن تجد اراحة الدواب وجهلاء الانسان من العمل لتحصيل النفع اهمالا منها فى السيادة وتقصيرا فيما لها من الحقوق المقدسة فى استعباد هذه الطوائف واستخدام قواها فى الفوائد التى تعود عليها باعتبارها سيدة كريمة .

ومن ثم تغلبت الامم العالمة على الامم الجاهلة وسامتها الخسف وسوء العذاب وعاملتها معاملة الانعام .

وقد تقل وطاة الامم الفاتحة متى شعرت أن فى الامم المفتوحة شيئا من العلم لانها تعلم انها حينئذ قد قاربت السيادة واستحقت السعادة .

﴿ تكوين العلم للارادة ﴾

متى علمت النفس بوجود شىء نافع تحركت نحوه حركة اشتياق وهذه الحركة تسمى رغبة او تشوفا أو شوقا . وهذه الرغبة تذكرها بصور ذهنية تشابه المرغوب . و بصور ذهنية اخرى توصل الى تحصيل مثله فتتحرك النفس بحركات بهذه الصور وتقارن بعضها ببعض وتقيس غائبها على حاضرها وتحل من بعض مركبات صور التكمل بها مركبات

أخرى . وهذه الحركة تسمى الفكر . والفكر يبعث فيها ميلا لالتقاط ما يفيد من بين تلك الملتقات الفكرية . وهذا الميل يسمى الاختيار . ومتى تم جاءت بعده حركة كلية فى النفس ميالة الى تحصيل المرغوب ويسمى هذا بالعزم . فهذه الحركات تسمى كلها الارادة وتكون بالعلم . اذ لولاه ما وجدت . فالانسان لا يريد الا ما يعلم .

﴿ ضبط العلم لحركة النفس الطبيعية ﴾

النفس هى التى تتحرك وهى التى تحس . وحركتها الطبيعية حين كانت روحا كهربائيا كانت مترتبة بالطبع على احساسها . فهذا الترتب طبيعى . ولما انقلب الاحساس الى ادراك وعلم بقى الترتب الطبيعى على حاله اعنى بقيت الحركة لا تحدث الا بعد العلم الذى صار بدل الاحساس . فالنفس تتحرك تبعا للعلم وفى الجهة التى ارشد اليها من اصل الطبع . وهذا ما عنيت بضبط العلم لحركة النفس الطبيعية — أى جعلها تحت قيادة العلم وباشارته .

﴿ صنائع الروح المريد فى بدن الحيوان ﴾

انظر فى بدن الحيوان تجد فيه من الصنائع ما يدل على أن هناك روحا مريدا صنعه . تجد فيه العظم مجزأ الى اجزاء مختلفة مناسبة لحال مظروفها وللمكان الذى وضعت فيه . ومع ذلك ليست من قبيل تجزئة الروح الحار للمادة الجسمانية ولا من قبيل تجزئة الروح الكهربائى لها . عظام الرأس والضلوع مفلطحة منحنية صالحة لان تكون الاولى علبة صلبة

للدماغ تقيه من الاجسام الخشنة والغريبة ولان تكون الثانية صندوقا متينا يحفظ القلب والرئتين وهما هذان العضوان الضعيفان بناء القويان عملا . عظام الفخذ والساق والعضد والساعد طويلة مفتولة لكونها في الواقع اعمدة حمل . فعلى الاولى يحمل البدن كله وعلى الثانية تحمل الارزاق والحاجات . عظام الاقدام والاكف قصيرة ليمكن أن يقبض بها الانسان على فريسته

وتجد فيه من التركيب آية للروح المريد . فانك تجد أطراف العظام غليظة دون أوساطها وتجدها مرتبطا بعضها ببعض بالعضل . وهو نوع من الصلة معروف للروح المريد . فان الروح الكهربائي يصل بعض الاجسام ببعض بالجذب لا بالربط بحبال

ولك في تشكيل العظام والعضل باشكال مختلفة بحسب الحاجة اليها آية كبرى فان ما تفعله الطبيعة من الاشكال معروف معقول السبب وهو الشكل الكرى

ولك في التلوين آية اخرى . فلون الشعر غير لون الجلد غير لون العظام والاظافر والاعصاب والمخ . وفي العين الوان مختلفة مناسبة لاحوال الحياة . وليس في الالوان ما هو في عضو بدون حكمة وفائدة

ولك في الحواس واجزائها ومركباتها وأوضاعها في الوجه آية تدل على قدرة الصانع المريد ومقدار علمه . وعلى أنه ليس هو الطبيعة البسيطة الاحساس والتي لا يتنوع احساسها الا بحسب صناعة هذه الآلات

ومتى رجعت الى أعضاء البدن وترتيبها بحسب لزومها والحاجة اليها وتنوعها بتنوع الحاجة أيقنت أن صانع الحيوان هو الروح المريد . فمن ادرى الطبيعة أن الغذاء محتاج الى طاحون فتوجد الاسنان مختلفة الاشكال ومن ادراها أنه لا يبلع بدون بل بماء فتوجد الغدد المفرزة للعاب فى الفم ومن اعلمها أن المعدة أرض مستنبت فيها القلب فتوجد له الجذور . ومن أفهمها أن الدم سيدور فى البدن ويتعكر فتوجد له مجارى توزعه ثم ترده الى محل فيه ينصلح وتجعل الكلى مصفاة له والرئتين معملا لاصلاحه وتقسم القلب له قسمين فيكون منه فى احد القسمين ما صلح للتغذية وفى القسم الثانى ما لا يصلح . أنى واكل اليك التفكر فيما بقى من بدن الانسان فقد كفى ماذكرت دليلا على كونه من صنائع الروح المريد واسالك من أفهم الطبيعة أن الجمل سفينة الصحراء فتوجد قوائمه طويلة ليحمل على ظهره احمال السفينة فلا تصل الى الارض ثم هى توجد له سنامًا كلوتد فى ظهره ليثبت به الحمل فلا يميد . ثم تجعل له تحت صدره كلكلا يتكئ عليه وهو بارك حين يوضع الحمل على ظهره . وكيف اتفق لها أن تعد ظهر الحمار والفرس للركوب فلا تدع ناتئة فى ظهورها أو اعوجاجا . ام كيف ادركت أن الطير يتغذى من الحب الذى يلتقطه من النبات فاوجدت له آلة تلتقط بها سريعا وهى ما يسمى بالمنقار واحرمتها من الاسنان حتى لا تشغل بطحن الحب زمنا رعافا جأها فيه حارسه فمنعها من اتمام غذائها واعجلها الى الطيران . ثم هى جعلت الحوصلة بعد ذلك مخزنا

للحبوب وبدلا من الاسنان حيث يهضم فيها الحب الهضم الاول . ام كيف ادركت أن الطير سيطير فى الهواء فلا حاجة له بالايدى وانما حاجته شديدة الى الاجنحة فبدلت له تلك بهذه . أن قوانين الطبيعة تدل على أنها عاجزة عن كل هذا وعن نسج الريش الذى يقى به الطير البرد والحر .

وقد يقول جاهل بقوانين الطبيعة فى الصنائع أن شيئا من ذلك تحدثه الطبيعة بالمصادفة بدون توقف على ارادة وعلم .

أما انت وقد درست هنا الطبيعة واعمالها الصناعية فقد علمت ان ليس للمصادفة هنا من تاثير . لما يأتى :-

(ا) ان المصادفة من الامور النادرة فان وجدت فى شيء لا توجد فى أشياء . وهنا أعضاء البدن كثيرة جدا متباينة فى الصناعة وفى التركيب الكماوى وفى الاوضاع والاحوال . فليس بناء واحد منها بناء للآخر . بل كل واحد منها محتاج الى عناية فى العمل شديدة . لان أصغرها مركب من آلات وأدوات محتاجة لعناية ارادية فى التشكيل والتلوين والتجزئة والتركيب . والمتامل فى العضو الواحد لا يرى للمصادفة فيه من سبيل . لانه كثير العمل والمصنوعات الدقيقة التى أقل خطأ فيها أوفى جزء صغير منها يؤدى الى الهلاك وابادة الحيوان فلا يوجد . القطعة اللحم الصغيرة التى لا تزيد على الخردلة فيها عصبة للحس وأخرى للحركة وانبوبة للدم الشريانى

واخرى للوريدى . وكل واحدة من هذه لها تركب صناعى خاص بها وتركب كيماوى خاص وشكل خاص ولون خاص فاذا أتت المصادفة بواحد منها لاتأتى بالآخر . وعليه لايمكنها أن تتم صنع مقدار حبة من خردل من بدن حيوان .

(٢) يقال أتى الشيء بالمصادفة اذا كان الشيء فيه استعداد للاتيان وصفات خاصة بحيث لايتوقف اتيانه الاعلى المصادفة . فاذا كانت الطبيعة مستعدة لان تصنع كل الاشكال والالوان والحركات والتجزئة والتركيب امكن أن تفهم تاثير المصادفة فى جانبها .

علمت أن كل مافى وسع الطبيعة أن تعمل من الاشكال الشكل الكرى فقط ولايمكنها أن تصبغ جسما بلونين مختلفين ولا أن تحركه بحركتين مختلفتين فكيف يتفق لها أن تصنع صفائح صلبة من العظام لتكون علبا أوصناديق لاعضاء لاتعيش بدونها أوتصنع فى البدن الواناشتى . الى غير ذلك من صنائع الروح المريد

اذن الامناص من الجزم بان الحيوان بكافة أنواعه من مصنوعات الروح المريد . وان كان للطبيعة شيء من الاعمال الحيوية فيه فانما يدل فقط على أنها مستخدمة للروح المريد فى صناعة الحيوان كما تستخدم الآلات الحادة والضاغطة والادوات فقط .

ومتى صنع الروح المريد للروح الكهربائى بدنا يجرى فيه تمثل به ثم حاكى ذلك المثل فى نسله وبذلك يكون الروح المريد قدسن للروح

الكهربائى سنة فى التصور لم يكن الروح الكهربائى ليدركها وحده . لان خاصته التمثل بصورة وجدت و وجد جاريا فيها لأنه يصور هو ويخترع صورا جديدة كما تقدم .

بناء على ما تقدم يثبت لنا أن صانع السموات والارض والحيوان والنبات هو الروح المريد . وأن ما فيها من اعمال الطبيعة دال على انها مسخرة فيه لارادة الروح المذكور .

وهنا أورد على احد اخوانى اعتراضا فقال . قد علمنا مما تقدم ان بدن الانسان يتكون من ثمرة النبات ويتكامل بالغذاء وان روحه يتكون من المعلومات والمعارف ويتكامل بالتعلم . وعلى ذلك يكون كل يوم غيره بالامس . وتكون آراءه واحواله فى اليوم غيرها بالامس . وما اجدره بهذا التقلب الطبيعى أن يكون قلبا ليس له رأى ثابت وهنا يكون الفساد وعدم الاستقرار الذى تضيع به العزائم والوفاء وغير ذلك من الاحوال التى يتوقف عليها صلاح العمران البشرى . فان بناء الانسان روحا وبدنا كل حين يتغير بالازدياد أو بالنقص . بما يحدث فيه من النمو أو الهدم بزوال بعض دمه أو شحمه أو لحمه أو بزوال معلوم من روحه

فقلت له . قد علمت مما تقدم أن التغير الذى يحدث فى بدن الانسان وروحه بالغذاء المادى والعلمى مؤد الى الكمال الحيوى العمرانى . والتقلب الذى ينجم منه هو التقلب النافع الذى وصل

الانسان به الى هذه المدنية الجليلة . والى هذه الحياة الصحيحة . فلولاه ماوصل الانسان فى صنائعه الى غاية الاتقان والاجادة فلو فرض أن الانسان ثبت على ما كان عليه من الوحشية — فبقى يسكن الكهوف والمغارات . ويا كل مما يصيده من الحيوانات . ويمشى عارى العورة . بادى السوءة — ما نسجت هذه الملابس الجميلة ولا بنيت هذه القصور الفخمة . ولا كان من الوان الطعام والشراب ما الذ للنفس وطاب و بفضل هذا التقلب دوّن الانسان قوانين ضامنة لصيانة الحقوق . فاصبح بها لا يمكن ضياع مثقال ذرة من حق و بفضله اتبع الناس الشرائع الجديدة والتقلب حركة والحركة حياة . والثبات سكون والسكون موت . والمتقلب شبيه بالسائل والثابت أخو الجامد . الا أن ضابط الصحيح منه أن يكون لحكمة ومنفعة وأن يكون بعيدا عن ضرر الفرد والجماعة

ومتى كان التقلب بهذه الصفة كان واجبا وكان ذمه جمودا وانحطاطا

فاذا رأيت انسانا غير رأيه فاسأله فان ابدى لك حكمة فانظر فيه منفعة أم لا فان وجدت فيه منفعة . فانظر فيه ضرر على فرد أم لا فان كان فيه ضرر من ذلك فحكمته ناقصة ومنفعته حقيرة الا أن يكون نفعه أكبر من ضرره والا فهو رأى سديد والتقلب به مفيد أما التقلب الذى خلا من حكمة ومنفعة أو كان فيه ضرر فرد او جماعة أو كان ضرره أكبر من نفعه فهو مذموم بالاتفاق فلولا التقلب ما اتبع الناس الرسل الذين جاءوا بالشرائع

القوية من عند الله

﴿ مبحث فى الروح العالى أو روح الارواح ﴾

﴿ حقيقة القدرة ﴾

بالتامل فى استخدام الانسان للطبيعة يوجد استخدامه اياها مسبوقا دائما بصناعة اجهزة جسمانية بآلات وادوات جسمانية كالمبرد والقدوم والمسبك الى غير ذلك . فالروح الكهربائى لا يمكننا استخدامه فى التلغرافات مثلا والروح الحار لا يمكننا استخدامه فى الآلات البخارية الا بعد صناعة اجهزة بآلات جسمانية .

وبالتأمل فى الحيوان والنبات والارض والسموات يعلم أن استخدام الطبيعة فى صناعتها غير متوقف على أجهزة سابقة مصنوعة بآلات جسمانية فماذا تستنتجه من هذا . انك تستنتج منه أن الروح العالى لا يستعمل آلات وأدوات جسمانية لاستخدام الطبيعة . بل يؤثر فيها مباشرة بطبعه بمجرد ارادته فيصرفها الى ما يريد . فهى آلته الوحيدة فى الصناعة

فاذ كان تأثيره فيها غير اضطرارى وكان باختياره وارادته صح أن يلتقى لهذا التاثير اسم مناسب فيسمى القدرة .

وقد رتنا من هذا القبيل . فانها تاثير طبيعى لروحنا فى طبيعة ابداننا يظهر لها بمجرد ارادتها . فقد رتنا مثال يمكن أن يفهم به قدرة الروح العالى لكنها مثال صغير جدا يوضح صورة تقريبية لقدرة الروح العالى .

أرأيت الصور التى يرسمها الغو تجراف . أهى نفس أصحابها . أم هناك فرق بعيد جدا بين الصورة والمصور . لا أشك بانك تجد الفرق واضحا وتجده كبيرا جدا . أن الفرق بين قدرتنا و بين قدرة الروح العالى عظيم جدا كما بين صورة الغو تجراف والمصور بها . أتدرى ماهو

الفرق أن قدرتنا تاثير طبيعى فى جزء صغير جدا من الطبيعة . وهو الجزء المحصور فى اعضاء ابداننا . بشرط أن تكون تلك الاعضاء متصلة بنا . فلذلك اذا اراد احدمنا أن يحرك أى عضو منه كان له ذلك بمجرد ارادته . فيسرى تاثيره الطبيعى فى طبيعة العضو المذكور بمجرد ارادته فيعمل به مايشاء . اما اذا اراد تحرك جزء من اجزاء المادة الجسمانية ليصنع منه شيئا كاداة أو بيت وقعد عن العمل بان لم يتحرك هو و يستحضر آلات جسمانية ومساعدات جسمانيه فان تاثيره الطبيعى لا يسرى فى المادة الجسمانية بمجرد اراته . فلا يتحرك منها الجزء المراد تحركه

والروح العالى يؤثر فى طبيعة المادة الجسمانية بدون واسطة . مباشرة . بدليل أنه اتخذ منها مصنوعاته بدون استعمال آلات جسمانية . فلذا أقول أنه يؤثر فى طبيعة المادة الجسمانية اياكانت بلا شرط .

من هذا يستنتج أن القدرة قسمان . صغرى وكبرى . فالاولى تاثير فى جزء من الطبيعة محصور فى اعضاء البدن المتصلة به . والثانية تاثير عام فى الطبيعة بلا شرط . وصاحب الصغرى يسمى روحا ساقلا وصاحب الكبرى يسمى روحا عاليا . ولكونه أوجد للروح الكهربائى

والحار حياة جديدة باستخدامه فى السموات والارض والحيوان والنبات صح أن يسمى روح الارواح .

﴿ بيان انه لا يوجد فى الكون أكثر من روح عال واحد ﴾

ايمكن أن يكون المحرك لكوكب واحد ليس تابعا لكوكب أكبر منه فى الحركة أكثر من روح عال واحد . قد تقول ما المانع من تعدد صناع الشىء الواحد .

اذا كانوا يصنعونه بكيفية تتعب الصانع . اما اذا كان صنعه لا يتوقف وجوده على شىء سوى الارادة فما معنى التعدد للصناع هنا . فما على الصانع الا أن يريد . وما على المصنوع الا أن يكون . على أن تعدد الصناع فى الحالة الاخيرة يؤدى الى العجز .

لانه اذا تعددت الارواح العالية فلا بد أن يكون كل واحد منهم فى جهة من الثانى . لان ذلك من مقتضيات التعدد . ومن حيث أن الطبيعة هى الآلة الوحيدة لكل واحد منهم التى بها يصنع ما يشاء . فلا بد أن تكون تلك الآلة حاضرة لديهم جميعا . والا كيف يصنعون بها شيئا وهى ليست حاضرة لديهم . فطبيعة الكوكب المراد تحريكه لا بد أن تكون حاضرة لديهم . وحضورها هذا لا بد له من سبب طبيعى يجمع بينها و بينهم . وذلك السبب الطبيعى ليس شيئا سوى كونها مجذوبة بطبعها اليهم حتى يتأتى انقيادها لهم اذا تمهد هذا فاعلم أنه لا يستطيع أحدهم استخدامها فى مراده هو لعدم خلوصها له وحده ولمشاركة غيره المساوى له فيها . والترتيب الطبيعى

فى استخدام الآلات فى الصنائع يلزم الصانع أن يتمكن من الاستيلاء على تلك الآلات أولا ثم يستخدمها . لكن أى واحد منهم غير متمكن بالطبع من الاستيلاء على هذه الآلة لكونها عاجزة عن طاعته بسبب انجذابها الهم على السواء مع تعدد جهاتهم فلاى جهة تتجه هذه الآلة اذا هموا جميعا باستخدامها فى تحريك الكوكب وقد تعددت جهات الجاذبين لها الطالبين الاستيلاء عليها قبل انفاذ المراد لاشك انها تقف حائرة بينهم وان تجد سبيلا الى طاعتهم الا السكون فى مكان واحد ثابت وهنا يعجزون عن استعمالها فلا يمكنهم تحريك كوكب بها

ولتفهم هذا جيدا خذ كرتين متساويتين من المعدن وكهربهما بروح كهربائى موجب متساوى القدر فى كل وضع بينهما كرة بندول كهربائى متكهربة بروح كهربائى سالب بحيث تكون بينهما على السواء وانظر تجد كرة البندول الكهربائى واقفة بينهما فى مكان ثابت لا تتعداه قد تقول هنا فرق بين الروح العالى وبين الطبيعة فان الاول مؤثر باختياره فاقول أن الفرق انما هو فى كون الارواح العالية تصرف الطبيعة الى المراد لا فى كون الطبيعة مجذوبة للروح العالى بالطبع حاضرة لديه لهذا السبب دائما . اذ لو لم يكن سبب مثبطا بين يدى الروح العالى هو ذلك الانجذاب الطبيعى ما مثلت بين يديه وما ذلت نفسها فى طاعته وانى قد مثلت للحالة الثانية لا للاولى ولا يخفى ما بينهما من الشبه التام ومن هنا تعلم أيضا انه لا يمكن أن يكون الروح العالى ـ المحرك للكوكب الغير التابع لكوكب أكبر منه

فى الحركة ـ المحرك لتابعه من الكواكب

لان الكواكب التابعة لكواكب اخرى تتحرك بحركة متبوعها فلا تحتاج لعمل آخر . ومع ذلك لا يرضى روح عال أن يكون كوكبه ذيلا لكوكب روح عال يماثله . ومع ذلك قد ظهر لنا من المحاورة فى صناعة النجوم والارض ان سبب وجود كل منهما فى مكان من الفضاء خاص وفى فلك معين لا يتعداه اثناء حركته وجود قوة جاذبة له فى كوكب أكبر منه وقوة اخرى طاردة له فى ذلك الكوكب مساوية للجاذبة . وبذلك صارت النجوم والارض جسما واحدا شديد التماسك . ذراته النجوم والارض . وهذا الخلاء العظيم الواسع مسامه . فهو فى الواقع شىء واحد ولاتساع مسامه يخيل الينا أنه اشياء . فما قلناه فى عدم جواز اشتراك أرواح عالية فى تحريك كوكب واحد هو بعينه ما نقوله هنا . فلا يمكن أن يشترك جملة أرواح عالية فى صناعة هذا الكون الجسمانى . لان اشتراكهم فى التاثير فى طبيعة شىء واحد فى الحقيقة ذى طبيعة واحدة مؤد الى تنازعهم فى انفاذ المراد معا وقد علمت وقوف الطبيعة عن الطاعة وظهور العجز الحقيقى حينئذ ـ كما أنه لا يمكن أن يكون صانع الحيوان غير صانع النبات غير صانع السموات .

لان الحيوان والنبات جزء من قشرة الارض التى هى احدى ذرات العالم الجسمانى كله فهى متأثرة بصانع السموات والارض . ولا يمكن أن يطرأ عليها تأثير روح عال . لان ذلك يتوقف على نزع

ملكية الصانع الاول . وهو مستحيل لان سبق الملكية يدل على شدة تمكن المالك من ملكه . ومن جهة أخرى لايخلوحال الروح العالى الطارئ من أن يكون مثل الاول فى القوة أوأ كبر منه. فان كان الاول امتنع استيلاؤه على شيء من ملك الروح الاول لعدم المرجح . وان كان الثانى لزم أن يتقدم الضعيف على القوى بالاستيلاء على الطبيعة . وهو مستحيل لانا لم نعقل تمكن المتساويين من الاستيلاء على الطبيعة وكذا لم نجد شيئا من ذلك فى الخارج . فكيف نعقل أن الاضعف يتمكن من الاستيلاء مع وجود الاقوى . فاذا ماوضعنا جسما صغيرا بين جسمين متكهر بين أحدهما أكبر من الثانى كانت الغلبة للاكبر بالطبع . بل كان الاكبر مستوليا أيضا على الاصغر بالطبع . وكيف يعقل أن يزرع صاحب النبات نباته فى أرض صاحب السموات و يأمن غائلة ذلك الصانع . أم كيف أمن أن يسقط عليه كسفا من السماء فيصبح نباته هشيما تذروه الرياح . وهل يرضى صاحب السموات أن يكون الانسان عبدا لغيره وهو يأكل من أرضه . وماالذى يمنعه من ايجاد حيوان يعبده ونبات يعيش به ذلك الحيوان . أن ذلك محتاج الى ارادته فقط .

﴿ بيان أنه عالم ﴾

العلم ثابت بالضرورة لكل صانع لان الارادة لاتتوجه الى مجهول ولاتبعث على عمل شيء الا بعد العلم بما يأتى .

(١) أن تعلم المـادة التى يصنع منها .

(٢) أن تعلم الحاجة اليه وفائدته .

(٣) أن تعلم كيفية صناعته . وهذا يشمل الاحاطة باجزائه وكيفية تهذيبها وأعدادها للدخول فى المركبات المطلوبة وكيفية وصل بعضها ببعض الى غـير ذلك .

(٤) أن تعلم انها مقدور عليهـا .

فمن مصنوعات الروح المذكور ثبت له أنه عالم بماضيها ومستقبلها ولا يعـزب عن علمه شيء فى السموات ولا فى الارض .

﴿ بيان أنه يعـلم بذاته ﴾

لو كان علمه يحصـل له بحواس مصـنوع لهـا أعضاء كحواسنا للزم مايأتى .

(١) أن يكون قبل صنع أعضاء الحس عليه ذا احساس بسـيط يتنوع بتنوع هذه الاعضاء وهذه خاصة الروح الـكهربائى والروح الـكهربائى بعد أن تصنع له أعضاء حس ويدرك بها يصـير نفسا . وحينئذ يكون تاثيره الطبيعى فى الطبيعـة جزئيا قاصرا عـلى مايتعلق ببدنه خاصة .

(٢) أن يكون له صانع مؤثر فى طبعه بطبعـه . ومتى كان كذلك كان لذلك تاثير طبيعى سار بطبعه فى طبيعة السموات والارض من جهة تاثيره فى صانعها . فتعود المسالة الى القول بوجود شريك لصانع

السموات والارض فى التاثير الطبيعى . وليته شريك مساو بل أكبر بكثير من صانع السموات والارض .

وفى كلتا الحالتين لايمكن صانع السموات والارض أن يصنع شيئا منهما بمجرد ارادته . وقد ثبت فيما تقدم ضد هذا فيبطل هذا ومأدى اليه وهو فرض أن صانع السموات والارض يعلم باعضاء حس مصنوعة عليه .

لايسوغ لك أن تدعى بعد هذا أنه يصح أن يعلم بحواس ذات أعضاء كاعضاء حسا وتكون تلك الاعضاء موجودة بالطبيعة فيه منذ وجوده فقد عرفت ماللطبيعة من المصنوعات التى لاتشمل أبدا مصنوعات الاعضاء . وليس فى وسعها أن تتناولها ولا بالمصادفة .

﴿ بيان أن الروح العالى يسمع حتى مايحدثك به ضميرك ﴾

(ويرى حتى من اختبأ فى الظلمات)

علمت مما تقدم أن السموات والارض مرتبط بعضها ببعض بالروح الكهربائى . وهذا لايتاتى — بناء على نظرياته — الااذا كان الروح الكهربائى فى أى نجمة متصلا بالروح الكهربائى فى النجوم الاخرى . وعلى ذلك الفراغ الذى نراه بين النجوم ليس بفراغ فى الحقيقة . بل هو مملوء بالروح الكهربائى الذى وصل بعضها ببعض فصارت كلها كتلة واحدة جسمانية سابحة فى كتلة عظيمة من

الروح الكهربائى .

اذا تعهد هذا فخذ جسما رنانا كالبُرُنْز ودق عليه خفيفا جدا بطرف عصا فان هباءاته تتحرك وتضطرب قليلا ولذا تسمع صوتا خافتا على مسافة خاصة . فاذا كان معك من هو أسلم منك أذنا واحد سمعا سمع الصوت الخافت المذكور على مسافة أبعد من مسافتك . وهكذا يختلف السمع باختلاف حدة حاسته وسلامة عضوه . دق الجسم الرنان بقوة فان الصوت يشتد و يسمعه البعيد والقريب بسبب شدة حركة أجزائه وشدة اضطرابها .

فاذا بعد عنك أحد الى مسافة خاصة حتى كان منك على بعد اذا زاد عليه بعدا لا يسمع الصوت لا يكون ذلك هو امد الصوت الذى انتهى عنده بل هو أمد قوة اذن ذلك السامع بدليل أنه اذا كان هناك من هو أحد منه سمعا وكان بعيدا عنه فانه يسمع ذلك الصوت .

ومن هذا يتضح أن كل حركة فى اجزاء جسم تحدث صوتا . وأن ذلك الصوت ينتقل من النقطة التى حدث فيها الى كافة نقط الكتلة الكربائية العمومية العظيمة التى وسعت السموات والارض . حتى الى النقط السطحية التى فى نهاياتها . وأن سماعه فى ذلك النقط متوقف على حدة السمع فقط .

والذى يؤيد لك ذلك نظرية التلغراف اللاسلكى . فانه مركب كتلغرافنا السلكى من مرسل ومستقبل ليس بينهما سلك . غاية

الامر أن المرسل على مكان عال وأن قطبيه طويلان منصوبان على اعمدة طويلة ومتصلا الاطراف . وأن المستقبل مشتمل على مسمع تلفون . فكل حركة تحدث فى المرسل تنتشر فى الهواء صانعة صوتا فيسمعها من وضع اذنه على مسمع المستقبل ولو كان على ابعد المسافات .

واذ أن للقلب حركة وللعروق حركة وللمخ حين التفكر حركة كان لذلك ضرورة صوت ينتقل فى كافة نقط الكتلة العمومية الكهربائية . فكلام ضميرك ـ أعنى حركة مخك حين التفكر ـ ككلام لسانك بلا فرق . كلاهما له صوت .

فاذا اضفت الى هذه المعلومات ان بين الروح العالى وبين الطبيعة صلة مؤثر طبيعى فى متاثر طبيعى كما بين النفس والبدن . وأنه هو الذى صنع الاذن على وفق صفات الصوت وانه عالم بذاته ايقنت أنه يعلم صوتك وما فى ضميرك ويعلم مكانك . سواء كنت فى الظلمات ام فى النور ام مستخفيا بالليل ام سارباً بالنهار . وسواء اكنت تتكلم مع غيرك ام مع نفسك بصوت ام بغير صوت لان ذلك كله محدث صوتا يحكى له قولك وفعلك وينم له عن مكنون ضميرك . لكن علمه بكلامك يسمى سمعا وعلمه بفعلك وحركات بدنك يسمى بصرا .

﴿ قدمه و بقاؤه ﴾

حدثت محاورة بين مجتهد . اعني رجلا ينظر في الادلة ثم يعتقد — و بين مقلد — اعني رجلا يعتمد في عقيدته على مجرد السمع ممن اشتهر و بالاجتهاد — في قدم الموجودات و بقائها . يمكن أن يؤخذ منها دليل قاطع حسي على قدم الروح العالي و بقائه . وها نا موردها هنا كما هي . المقلد خبرني يا ايها المجتهد عن الموجود اهو حادث ام قديم . المجتهد — ماذا تعني بالموجود . المقلد — اعني به كل شيء ثبت له الحصول في الكون . المجتهد ماذا تعني بالحدوث والقدم . المقلد — اعني بالحدوث أن يكون للموجود اول لوجوده وأن يكون وجوده مسبوقا بعدم . واعني بالقدم أن يكون وجود الموجود لا اول له والا يكون مسبوقا بعدم . المجتهد . اتسال عن الوجود باعتبار جوهره ام باعتبار صفاته ام باعتبار احواله . المقلد — ما الجوهر وما الصفة وما الحال . المجتهد — جوهر الشيء مادته التي وجد منها . و يمكن أن تقول هو ما قام بذاته . ومثاله مادة النبات والحيوان والارواح . والصفة موجود لا قيام له الا بغيره . ومتى ثبت لشيء لا ينتقل عنه . مثل اللون . والحال موجود لا قيام له الا بغيره . لكنه متنقل غير ملازم لشيء واحد . مثل الحركة والسكون . ومتى ربيت حواس ابنك تربية فعلية وجد كافة صفات الموجودات واحوالها منقسمة على حواسه . فالبصر يدرك من صفات الشيء لونه وسطحه وتحيزه . و يدرك من أحواله بساطته وتركبه — فانت ترى القلم شيئا واحدا وترى الشجرة مركبة من

جذع واغصان و ورق وثمر ـ ويدرك منها الحركة والسكون والنور والظلام والوضع ـ اعنى كونه مائلا أومعتدلا أو مقلوبا . ويدرك بعد الشيء وقربه واعوجاجه واستقامته ومكانه وزمانه . والسمع يدرك من صفات الشيء صوته . واللمس يدرك من صفات الشيء خشونته وملاسته وصفاقته وسخافته وصلابته ولينه وثقله وخفته وقوة تماسكه وضعفه . ويدرك من احواله رطوبته ويبسه وحرارته و برودته والذوق يدرك من صفات الشيء طعمه . والشم يدرك من صفاته ريحه . والصفات ان كانت مؤثرة تسمى خواص . فان كنت تريد الموجود باعتبار حاله الحاضرة صح أن اقسم لك الموجودات الى قسمين . قديمة وحادثه . فالسموات والارض والحيوان والنبات باعتبارها على هذه الحال الحاضرة امامنا حادثه . اعنى انها أتى عليها حين من الدهر لم تكن كما نرى . بل كانت بخارا مختلطا بعضه ببعض — اعنى كانت كرة فى غاية السيولة « كما ثبت لك من الادلة الحسية والعقلية والشرعية فيما سبق » . والروح العالى باعتبار حاله التى هو بها الآن قديم . فان المعلوم من احواله الآن كونه واحدا منفردا خالقا رازقا منزها عن النقص غير مركب من عناصر . وهذا كله قد قامت الادلة القاطعة على أنه ملازم له من أزل الازال والى ابد الاباد . فهو شبيه بالصفات الملازمة لوجوده . المقلد ـ من اين لنا كونه غير مركب من عناصر . المجتهد ـ لو كان مركبا من عناصر لكان لكل عنصر من عناصره وجود مستقل ولكان هناك سبب مؤثر فى تضام هذه

العناصر . وذلك السبب هو روح بالضرورة . فان فى اجتماع عناصر وتضامها حياة لمركب . والسبب فى الحياة يسمى روحا « كما تقدم » فان كان ذلك الروح أجنبيا من العناصر غير ملازم لها فهو بالضرورة اول روح صانع . وقد ثبت لنا بدليل الوحدة أن اول روح صانع هو الروح العالى . فلا يمكن أن يكون هناك روح عال غيره . وان كان سبب تماسك العناصر روحا ملازما لها كان روح تماسك . وكان اشتغاله بالتماسك عائقا له عن العلم بالامور الجارية فى غيره وعن القدرة على غيره الا أن يحول جزء بالصناعة من روح تماسكه الى عالم قادر مريد . كما فعل باجسامنا وروح تماسكنا . ألا ندرى أن عمل التماسك شغل شاغل عن كل شغل بالطبع فعلى هذا لابد له من صانع . وقد ثبت لنا من دليل التوحيد أنه لا صانع سواه . فبطل ما أدى الى غير ذلك وهو التركب من عناصر . المفلد — ان كلامك هذا يدل على أنا اذا نظرنا الى الموجود باعتبار جوهره او صفاته يكون هناك حكم آخر على الموجود غير ما ذكرت . فما هو . المجتهد — أن نظرنا اليه باعتبار جوهره او صفته وجدنا كل الموجودات بهذا الاعتبار قديمة . فجواهر الاجسام والارواح وصفاتها قديمة . المفلد — كيف ذلك والمشاهدة تناقض قولك . المتر أنا وجدنا من عدم . المجتهد . ان هذا الشىء عجيب . متى رأيت العدم يلد وجودا . وما معنى العدم اذا كان هو ينبوع الوجود . العدم معناه لاشىء . والوجود معناه شىء حاصل فكيف يكون لاشىء — فى بطنه شىء حاصل . اما تدرى أن طروء

الوجود على شيء معدوم حين العدم مستحيل غير ممكن . لما فيه من اجتماع المتناقضين فى شيء واحد . فيكون هنا الشيء موجودا معدوما فى آن واحد فذلك واضح البطلان . المقلد — اين كنت قبل أن تحمل بك امك . المجتهد — كنت موجودا . لكن بحال غير هذه . فكنت متفرق الاجزاء والعناصر فى النبات وفى لبن الحيوان ولحمه . ثم اجتمعت لابى وامى بالتغذى . ثم صرت نطفة فى صلب ابى و بويضة فى رحم امى . ثم لما امتزجت هذه النطفة بالبويضة حين اضطجاع أبى وأمى معا فى فراش واحد صرت جنينا فى بطن أمى . المقلد — أن من البيان لسحرا . هانت قد تركتنى أعطف على النبات والحيوان تارة وأهابهما اجلالا تارة أخرى لما فيهما من أجزاء ابنائى وأخوتى وزوجى . ولما كان منهما من آبائى وأجدادى . فاين كنت قبل النبات والحيوان . المجتهد — كنت أجزاء متفرقة فى أديم الارض ثم اجتمعت فى النبات بالغذاء . ألم تر النبات يمتص من الارض بناءه و ورقه وأغصانه وثمره . ونحن ننبت من هذا الثمر . المقلد أنحن من هذا التراب الذى نطؤه بالنعال . المجتهد المشاهدة تثبت لك ذلك . فنحن خلاصة النبات الذى هو سلالة من الطين . المقلد تالله لقد تركتنى بهذا البيان اعطف على الارض واكاد أخلع نعلى اذا أردت المشى عليها احتراما لمصدر آبائى واجدادى . وشفقة على بنى وذريتى . الآن قد تبين لى أن الموجود يصدر من موجود . اذن ما معنى (خلق) فى القرآن

الكريم . ان سادتنا العلماء فسروها بالايجاد من عدم . وانى وأن كنت قد فهمت قولك وعقلته لا أفضله على ما سمعت من افواه هؤلاء السادة الاجلاء . المجتهد ـ معنى (خلق) فى القرآن (صنع) . ولو لم يكن كذلك ماذكر بعدها المصنوع منه الموجود . ومن ذلك ماجاء فى القرآن الشريف . وهو « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . والجان خلقناه من مارج من نار . واذا تخلق من الطين كهيئة الطير . » فكل ماذكر بعد (خلق) فى هذه الآيات موجود . فليس معناها أوجد من عدم بل من وجود . المقلد ـ ماذا تقول فى قوله «خلق السموات والارض» التى لم يذكر بعدها ماخلقت منه . المجتهد ـ وماذا تقول فى قوله «وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء» الم يكن ذكر كون عرشه على الماء من قبيل ذكره لما خلقت منه السموات والارض . فان السموات والارض كما ثبت لك من قبل انها كانت كرة سائلة فى غاية السيولة ـ اعنى على حالة بخارية . وهو الماء الذى عبر به هنا . فيكون المعنى هنا «خلق السموات والارض» فى ستة ايام من سائل مائى ـ اعنى رقيقا فى رقة الماء» وقوله «وكان عرشه على الماء» اشارة الى قدم هذا الماء وازليته . المقلد ـ هذا صحيح واضح جدا معقول لكنى سمعت من سادتنا العلماء أنه لو كان هناك شىء قديم غير الخالق ـ اعنى الصانع الاول ـ لكان هناك شىء يشاركه فى القدم فيكون فى الكون خالقان . ووجود خالقين فيه فساد كبير . لانه مناقض لوحدة الخالق

ومؤدى العجز عن ايجاد أى مصنوع . المجتهد ـ كررت على الرد بقول سادتك العلماء وبرواية ماقال سادتك بالحرف . فمالك تؤثر السمع على النظر وتحرم نظرك من حظه من العلم . ألسادتك نظر وانت بلا نظر فلا تستطيع النظر . ألم يكلفك دينك بالنظر . الم يقل لك قرآنك الكريم « انظر واماذا فى السموات والارض . فلينظر الانسان » وكيف تكتفى فى معرفة ربك بقول سادتك العلماء . قل لى ـ بأبيك ـ كيف رتبت على قدم الشىء ان يكون خالقا . القدم طول الزمن وعدم الاولية . وليس هو بصفة مؤثرة كالقدرة والارادة والعلم . فمشاركة شىء فيه للخالق لا تؤدى وحدها أن يكون الشىء خالقا مثل الخالق . والمشاركة الضارة هى المشاركة فى صفة مؤثرة مثل القدرة والامر هنا ليس كذلك اذ مادة الاجسام قديمة لكنها ميتة قابلة لتاثير المؤثر والخالق قديم لكنه حى قادر فاعل بقدرته ما يشاء فما للقدم وللتاثير أم كيف . يبنى عاقل عليه ما بنيت أنت ومع ذلك أنت لا تنكر مشاركتك للخالق فى الوجود فكل منكم يقال انه موجود ولكون الوجود ليس من الخواص المؤثرة لم يصح أن تسمى به شريكا للخالق لان الشريك يطلق فى اللغة على المقتسم والاقتسام يطلب القوة المؤثرة ومتوقف عليها وليس لك قوة قدر قوة الخالق حتى يمكنك أن تاخذ شيئا من ملكه لنفسك المقلد ـ ان سادتنا العلماء اقاموا برهانا قاطعا على انتفاء قدم المادة الجسمانية وروح التماسك والروح الحار اللذين صنعت بهما المادة الجسمانية كما نرى فقالوا ـ لو كان شىء مما صنع الخالق منه مصنوعاته قديما بذاته لكان

الخالق مفتقرا اليه فى ايجاد مصنوعاته فيكون الخالق بافتقاره هذا عاجزا .
والعاجز لا يوجد شيئا من هذه المخلوقات . المجتهد . ما معنى الافتقار هنا .
الم أقل لك أن المادة الجسمانية وغيرها مما ذكرت موجودة من الازل
وقابلة لتاثير المؤثر وأن الخالق موجود من الازل وفاعل فى غيره بقدرته .
وانه مع ذلك لا شريك له فى تاثيره وفعله . فهو بطبعه الذاتى مالك للمادة
الجسمانية وارواحها فكيف تسمى الملك بطبعه فقيرا . كلا انها كلمة
قالها سادتك فلم تنظر فيها . الفقر العدم . والغنى الوجود .
فاذا ثبت الوجود لم يكن فقر . المقلد — أرأيت اذا لم تكن المادة الجسمانية
موجودة وأراد الخالق أن يوجد مصنوعاته ليرفع شهرته ويعلى صيته ويبرهن
على قدرته وعظمته فلم يجد . ألم يكن حينئذ فقيرا وعاجزا . أولم يكن فى حيرة
وحسرة على عدم نيله مراده . ارأيت اذا كان يقدر على ايجاد مادة جسمانية
من العدم . أفلم تكن قدرته عظمى ومراده حاصلا . المجتهد — انى فى شدة
العجب أن تفرض عدم وجود مادة جسمانية . مع وجودها المحقق . وأن
تتوهم أنها اذا لم تكن — تتوجه ارادة الخالق الى ايجاد مصنوع . وأنت
تعلم أن الارادة لا تتوجه الا الى معلوم الوجود . فكيف بارادة الخالق
السامية المبنية على العلم المحيط . وأعجب من هذا وذاك أن تقول انه اذا لم يجد
يكون فقيرا عاجزا . ألم تعلم أن الفقر يطلق على شيئين فقط . على فقد المكمل
لذات الطالب . وعلى عدم شىء عند احد مع وجود مثله عند غيره والخالق

كامل فى ذاته فليس فيه نقص يحتاج فى اتمامه الى غيره . كالنقص الذى فى ابداننا وعقولنا الذى يحوجنا فى اتمامه الى الغذاء . واذا لم توجد المادة الجسمانية عند الخالق فلا توجد عند غيره . اذ لا شريك له يملك مالا يملك هو . فكيف بعدوهملك تصورت الفقر فى جانب الخالق أم كيف تصورت أن يكون عاجزا . أظننت أن القدرة تتناول المستحيل لذاته . أولم تعلم أن استخراج موجود من العدم مستحيل لذاته لما يازم عليه من كون العدم أصل الوجود وينبوعه الذى منه وُلد . أن يلد العدم وجودا هو المستحيل لذاته الذى اتفق عليه سادتك العلماء . فكيف يحار و يتحسر على ما لم يجد وهو يعلم أن قدرته لا علاقة لها مع المستحيل — أعنى المعدوم بذاته وصفاته — وانما ظهور تاثيرها الطبيعى فى تصريف الطبيعة وقت الارادة فقط . المقلد — الآن قد قنعت منك بهذه الادلة البينة بقدم الموجودات بذاتها وصفاتها . والآن سائلك — أيلحق موجودا عدم . المجتهد — اذا فهمت استحالة طروء الوجود على العدم الذاتى كان من اللازم أن تفهم استحالة طروء العدم على الوجود الذاتى . فلا يمكن أن ينقلب الوجود الذاتى عدما . بمعنى أنه لا يمكن أن يصير وجود مادة الاجسام والارواح عدما . لان طروء العدم على الموجود حين وجوده عبارة عن اجتماع المتناقضين فى شىء واحد فى آن واحد . فيكون الشىء موجودا معدوما فى آن واحد . وذلك مستحيل . المقلد — كيف ذلك والمشاهدة تثبت نقيض قولك فاين نذهب بعد الموت . أليس مصيرنا الى العدم

المجتهد ـ اذا تاملت فى الميت فى كل الاطوار التى تعتوره بعد الموت تجده لا يذهب الى العدم . وغاية الامر أنه ينحل الى أجزائه فيصير ترابا يختلط بثرى الارض . أفانت تسمى التراب عدما . مع أنه موجود .

المقلد . ماتقول فى الشمعة بعد الاحتراق . أهى صارت وجودا أم عدما .

المجتهد أخذ شمعة و وضعها فى أناء من الزجاج طويل شبيه بزجاجة مصباح مثقب القعر وعلقه فى كفة ميزان و وضع فى نصفه الاعلى شبكة معدنية ملأها بقطع كبيرة من البوتاسا ثم وضع فى كفة الميزان الاخرى رملا حتى تعادلت الكفتان . ثم أوقد الشمعة فرأى الفيلسوف أن كفة الشمعة ترجح كلما احترق منها جزء الى أن يتم احتراق الشمعة فيرى أن كفتها قد صارت أثقل من كفة الرمل . ثم قال المجتهد ماذا شاهدت . وماذا تستنتجه من هذه المشاهدة .

المقلد . شاهدت أن كفة الشمعة ثقلت بالاحتراق . واستنتجت من ذلك أن اجزاء الشمعة تنضم الى اكسجين الهواء فيزيد ثقلها . وأنها مع ذلك لا تخرج من الاناء الحاوى لها . ثم تامل قليلا فى البوتاسا فوجدها رطبة ثم قال . ولكنها تذهب الى البوتاسا بخارا فتمتصها البوتاسا . وعلى ذلك اذا أخرجت البوتاسا و وزنت فانها توجد أثقل مما كانت .

المجتهد أذن الشمعة لم تنعدم بعد الاحتراق . بل هى موجودة بعده . غاية الامر انها انحلت الى هباءاتها وعناصرها فصارت بخارا رقيقا لا يرى

فظن الناس انها انعدمت .

المقلد . ماذا تقول فى الضوء بعد الظلام وماذا تقول فى الظلام بعد الضوء . أهما معدومان ام موجودان

المجتهد . علمت ان الضوء ناشىء عن تراكم الروح الحار على ذرات الهواء بمقدار خاص وان الروح الحار سريع الانتقال من جهة الى جهة . لكن ما يذهب منه وقت طلوع الشمس يستعاض بما يسقط منها . و بذلك تبقى ذرات الهواء حاملة من الروح الحار كمية كبيرة كافية لتوهجها . فاما اذا غربت الشمس انتقل الروح الحار من ذرات الهواء ولم يأت ما يكون عوضا عنه . و بذلك لا يكون فى ذرات الهواء الكمية الحرارية الكافية لتوهجه فيكون الظلام اى عدم الوهج . فالظلام عدم فلا يقال اهو موجود ام معدوم والضوء تابع للروح الحار ان ذهب . فهو دائما موجود غير انه قد يختفى بتفرق الروح الحار وقلة كفاية ما بقى منه لايجاد الوهج فى ذرات الهواء . فلا يسال عنه اهو موجود ام معدوم

المقلد . ماذا تقول فى الحركة بعد السكون . وفى السكون بعد الحركة . أهما موجودان أم معدومان .

المجتهد . الحركة صفة من صفات الموجودات المتحركة بذاتها كالروح الحار والروح الكهربائى وروح الحيوان . وهذه الصفة يظهر أثرها فى الاجسام المتصلة بهذه الارواح . فان انقطعت الصلة اختفت فى موصوفها فلا يقال أنها قد عدمت . بل هى بلا شك

موجودة بوجود متبوعها . اما حركة روح الحيوان فتظهر فى أبدان افراده بارادة الروح وتختفى فى متبوعها بارادته أيضا . فهى دائما موجودة فى حالة الظهور والخفاء بوجود متبوعها . فلا يسأل عنها بقولك أهى موجودة أم معدومة . وأما السكون فهو عدم الحركة . وصفة العدم ملازمة له لانها هو . فلا يقال له أبدا أنه موجود .

المقلد . ماذا تقول فى قول القرآن « كل شىء هالك الا وجهه » المجتهد . ان الهلاك معناه تغير الحال . لا معناه زوال الذات بدليل عجز الآية وهو « له الحكم واليه ترجعون » فانه بيّن بذلك أن الهلاك ليس عدما ذاتيا . والا فكيف نرجع اليه ونحن فى حالة العدم . ولو أنا نصير عدما لما أخبر فى كثير من الآيات بانا خالدون أبدا . فقال « والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعدلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا . ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها » هذا كله يوضح لك أن الهلاك يراد به تغير الحال الذى عبر عنه القرآن بقوله « يوم تبدل الارض غير الارض والسموات * يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب * وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا * اذا الشمس كورت . واذا النجوم انكدرت . واذا الجبال سيرت . واذا العشار عطلت . واذا الوحوش حشرت واذا البحار سُجّرت .

واذا النفوس زوجت . واذا الموءودة سألت باى ذنب قتلت . واذا الصحف نشرت . واذا السماء كشطت . واذا الجحيم سعرت . واذا الجنة أزلفت علمت نفس ماأحضرت » . المقلد — من هـذا فهمت أن العالم باق بذاته وصفاته فان باحواله . لـكن هل الخالق كذلك . المجتهد — اذ قد ثبت لك أن العالم باق بذاته وصـفاته ومن ضمن ذلك الخالق فاثبت لك أن الخالق باق بحاله التى هو بها الآن . قد علمت أنه ليس بمركب وأنه واحد فى ذاته وناثيره . اذن فلا يمكن أن ينحل الى أجزاء له . كما أنه لا يمكن أن يقبل أثر شىء . اذن لا يمكن أن يدخله غيره فى مركب . ومن هذا يتبين لك أنه باق بحاله .

المقلد — الآن قنعت منك ببراهينك واخذتك اماما لى اقـلدك فى معارفك . ثم انصرف .

﴿ الخلاصة ﴾

انتهى حديث المجتهد والمقلد . وانت لا تخـلو حالك . فاما انت مجتهد واما انت مقلد . وفى كلتا الحالين لا تجد بدا من العلم بان الروح العالى قديم موجود بلا أول و باق موجود بلا نهاية .

﴿ بيان أنه حى الى الابد ﴾

ثبت لك أنه صنع السموات والارض والنبات والحيوان . وانت تشاهد أن الميت لا يمكنه أن يصنع شيئا فلذلك يبدهـك ان تجزم بان

الحياة ضرورية للصانع . لانها تتمثل فيه بالعلم والارادة والقدرة معا واذ ان هذه الامور ذاتية فى الروح العالى وأنه لايتاثر بغيره لزم ان تبقى ببقاء الذات الى الابد . اذلا ينقلب وجود عدما . وهى أمور وجودية فى الذات منذ وجود الذات فلا تنعدم ابدا .

﴿ بيان انه لم يلد ولم يولد ﴾

متى تاملت فى معنى الولادة وجدت الولد جزءا من دم ابيه وامه الآتى من الاغذية . اعنى انه ليس جزءا من بدن ابيه وامه اوجزءا من روحيهما . لكنه مماثل لهما من جهة الاصول . فبدنه مادة جسمانية كبدنيهما وروحه روح كهر بائى كروحيهما . غاية الامر ان روحه بجريانه فى بدن ابويه تاثر بشكله وصورته فصار مشابها لهما فى ذلك .

فمن يقول ـ بناء على ذلك ـ ان الروح العالى يلد او يولد فانما يقول بوجود جملة ارواح عالية و يقول بتاثر الروح العالى بغيره كما علمت من معنى الولادة . وقد ثبت لك ان الروح العالى واحد غيرمتعدد وانه لايتاثر بغيره . اذن لايمكن ان يتصور احد أنه يلد او ولده روح عال .

﴿ بيان ان الطبيعة لاتترقى الى درجة الروح العالى ﴾

علمت ان الطبيعة متاثرة بالروح العالى بالطبع وان الروح

العالى مؤثر فيها بالطبع . وليس فى سعة القدرة ان تزيل طبعا موجودا او تعدمه لما سبق من ان الوجود لا ينقلب عدما . وغاية الامر ان كل مافى وسعها استخدام الطبع فقط فيما يناسبه و يوافقه اذن تاثرها به وتاثيره فيها دائمان ابدا ولا يمكن ان تكون مؤثرة غير متاثرة . اذن لا ترقى الى درجة الروح العالى ابدا

﴿ بيان ان الروح العالى لا يتسفل الى ان يكون طبيعة ﴾

والعكس غير ممكن ابدا . والبرهان على ذلك عين البرهان السابق . فلا يمكن ان يكون الروح العالى روحا لجسم لانه يصير متاثرا بثقل الجسم وكثافته التى تحول دون العلم وتكون سببا فى التوصيل الردئ للارواح . ومن جهة اخرى يكون قاصر التاثير على الجسم المذكور بعد ذلك العموم الطبيعى لتأثيره وكل هذا غير ممكن . فقد ثبت لك انه غير متأثر بغيره وانه عام التاثير فى جميع الموجودات . وهذه خواص وجودية فيه لا تزول ابدا .

وعليه لا تصح دعوى انسان مميز ان الروح العالى حل فيه . لانه لا يصح ان يكون طبيعة فيه لبدنه كما ثبت لك . ولا يصح ان ينضم الى روحه و يصيره طبيعة لجسمه — وهو ما يعرف بالاتحاد — لان جزء الطبيعة طبيعة . و بانضمامه الى روح الانسان يصير جزءا من روح مركب منه ومن روح الانسان قائم مقام الطبيعة فى البدن اعنى صائرا طبيعة .

ولا يمكن ان يبقى الروح العالى وحده كما هو مع كون الطبيعة كما هى . اذ يلزم عليه ان يكون تابعا للبدن على حسب مقتضيات الطبيعة فيجرى معه الى الغذاء ويدخل معه الكنف للبول والغائط ويشاركه فى كسب الجنابة الى غير ذلك . ولا يخفى أنه فى كافة هذه الاحوال متأثرا بالطبيعة . وقد ثبت أنه لا يقبل التاثر بشىء . اذن لا يمكن أن يحل فى جسم انسان أو حيوان لان ذلك مخالف لمقتضى طبعه .

﴿استحقاق الروح العالى للعبادة﴾

العبادة حبس النفس على الطاعة . وهى حق على من بلغ اشده رشيدا للروح العالى . فانه مالك لنا ولنعمنا دائما . فقد عرفت تأثيره فى صنعنا وصنع العالم الجسمانى والروحانى كافة . وكل صانع مالك لما صنعه بالطبع ما لم يكن ماجورا عليه أو مقهورا . ومن ذا الذى هو أكثر من الروح العالى مالا أو اكبر منه قوة حتى يأجره او يقهره . انك لا تشك — بعد بيانى لك فيما مضى — فى أن الروح العالى منزه عن الشريك والند وعن وجود من هو اقدر منه أو أكثر منه مالا . أذن لا ريب أنه مالك لكل مصنوع سواء أكان عاقلا أم فيه منفعة لعاقل ونعمة عليه . ومن الواجب تقريره عقلا الا يتصرف احد فى ملك غيره « خصوصا ملك من هو أشد منه قوة وبطشا واوسع منه علما الى درجة ان يطلع على سر المرء وعلانيته سواء أكان مستخفيا بالليل فى الظلمات أم كان سارا بالنهار وسواء

أكان وحده أم مع الجماعة . خصوصا ملك من لا ملجا منه الا اليه ولا اعتماد الا عليه . متى اراد قدر . فآخذ بالذنب أو غفر » الا بما يرضيه . فراعاة لهذا الحق المقرر عقلا يلزم ألا تتصرف فى اعضائنا وقوانا الا بما يرضى الروح العالى لانها مملوكة له بالطبع وحقوق الصناعة الحرة . وهو ذلك القادر القاهر الذى لا يغلبه غالب . وهو وحده الغالب . هذه حقيقة العبادة الواجبة للروح العالى .

﴿ بيان انا قادرون على اداء العبادة ﴾

علمت مما تقدم ان الانسان مجموع عناصر جسمانية ميتة قاصرة بذاتها عن الحركة ومجموع ارواح هى التى تتحرك بطبعها وتحس بذاتها . فالاحساس والحركة موجودان فى ذاتها ثابتان لها بطبعها . ولا سبيل لطروء العدم عليهما . فقد علمت من القاعدة التى تقررت سابقا — فى قدم الروح العالى وبقائه أن الوجود الذاتى لا يلد العدم وان العدم الذاتى لا يصير الى الوجود . لاستحالة ذلك اذن ارواحنا مختارة فى اعمالها قادرة عليها بالطبع عما كانت عليه من الاحساس والحركة الذاتيين . وبالتامل فى صناعة ابداننا يعلم أن صانعها ارسل تلك الارواح فيها على طبعها . بل سهل لها سبل الحركة ونظم لها طرق الاحساس فكان فى ذلك دلالة واضحة على أن طبعها لا يزال باقيا لها بل زاد كمالا ورفعة وعظم شان . فلا شىء يعوق ارواحنا عن حركتها واحساسها الطبيعيين . ونحن نشعر بذلك ونجده فى انفسنا . فكلما اراد

أحد شيئا مما فى وسعه عمله أو اراد الفرار من شىء خافه وليس دون العمل حائل ولا دون الفرار مانع وجد بدنه وقواه ميسرين للاقبال والادبار . غير أن الانسان لا يزال يشعر بان لقواه حدودا من الاعمال لا يمكنه تجاوزها وتلك الحدود ما حاط المقدور عليه دون ماسواه . فكلنا نشعر أنه لا طاقة لفرد بحمل جبل شاهق او خلق انسان أو حيوان أو نبات او هدم بناء السموات . وفى مقابلة ذلك نشعر بان الركوع والسجود للخالق والسعى فى طلب ارزاقنا والمحافظة على حياتنا سهل متيسر لنا . ومن المعلوم أن الروح العالى هو الذى اتقن صنع ابداننا واوجد فيها الحياة وخلق لها النعم التى تستمد منها الحياة والروح والبقاء . فهو عالم بما ما مقدار ما لنا من القدرة وما يمكننا اداؤه من الاعمال فلهذا لا يعقل ابدا ان يكون رضا هذا الخالق الحكيم فيما لا طاقة لنا به فان ذلك مناف لحكمة صنعه فينا . فلابد أن يكون رضاه محصورا فيما هو فى وسعنا وفيما يمكننا . ومن ذلك وهذا يتبين لك انا قادرون على بعض الاعمال . وأن عبادة الروح العالى فى ضمن هذا البعض كما ان السعى فى تحصيل الارزاق فى ضمنه ايضا .

﴿الاعمال التى تعد عبادة﴾

بينا فيما سبق ان حقيقة العبادة الواجبة علينا الروح العالى الا تتصرف فى ملكه الا بما يرضيه وان ابداننا وارواحنا وكافة الموجودات ملوكة له

بسبب كونه صانعا لها باختياره غير ماجور ولا مقهور . وبالتامل في بديع صنعه وسنة نظامه واتقانه لمصنوعاته واكثاره من الاعمال النافعة العامة النفع يعلم أن التصرف الذى يرضيه في ملكه هو صرف أعضائنا الى أداء الاعمال العامة النفع والتى فيها حفظ للنظام الكونى على ماهو عليه أوفيها زيادة واتمام لهذا النظام المذكور وصرفها ايضا الى الاختراع والابداع فى الصنع المفيد والمداومة على ذلك لان الروح العالى يحب ذلك ويسعى اليه بنفسه فلا بد ان يحب من يقلده فى هذا الكمال من عباده لان التقليد احيانا يدل على اعتقاد المقلد كمال من يقلده . وهو صنف من الايمان وصنو من الاسلام . وبالتامل فى حال تملك الروح العالى لهذه الموجودات يعلم ان تملك الاشياء التى ليس لها مالك سبب يفيد صحة وضع اليد عليها . ولهذا لما لم يكن للاجسام والارواح السفلى مالك صح ان يدخلها الروح العالى تحت سيطرته وملكه ويجرى فيها ماشاء من بديع صنعه . واذ انه اوجد فينا الحاجة الى الاكل والشرب والسكنى والزواج واللبس ثم هو قد اوجد من صنائعه مايؤكل ويشرب ويسكن ويلبس الى غير ذلك كان ذلك من اكبر الادلة الطبيعية على انه سلطنا على النبات والحيوان والجماد من ماء وهواء وارض وجبال ورمال وعلى من يساعدنا ومايساعدنا على تحصيل شىء من ذلك

فاذا لاحظنا هـذا ولاحظنا سبب تملكه على الموجـودات ولاحظنا وجـوب القيام علينا بالاعمـال العـامـة النفع ولاحظنا مافينـا من نعمة العـقل والادراك امكننا ان نحصر انواع العبادة الواجبة علينا فيما يأتى —

(١) ألا تتملك شيئا الا اذا كان غير مملوك لاحد . ويدخل فى ذلك بالضرورة الشىء الذى تخلى عنه مالكه لسبب اختاره ورضيه . فانه حينئذ يكون مباحا لك ويعتبر أنه غير مملوك لاحد ويدخل فى ذلك الا تضر مالـكا فى ملـكه

(٢) أن تختار لنفسك عملا عام النفع تقوم بادائه للناس والا تنفك تبدع فيه وتخترع مايزيد فى نفعه وتعميمه

(٣) الا تصرف عضوا من أعضائك فى عمل سرا وعلانيـة الا قاصدا ارضاء الروح العالى . ويدخل فى ذلك الاكل والشرب والسكنى والزواج وغيرها من الحاجات . فلا بد أن تقصد بهـذه الامور ارضاء الروح العالى . وذلك أن تقصد بها المحافظة على صحتك وبنائك الذى أتقن صنعه الروح العالى وأراد حياته ووجوده ليكون دليلا ساطعا وبرهانا قاطعا على وجود ذلك الروح الاكبر وكماله ومتى قصد المرء أن يكون تمتعه بنعم الروح العالى مبنيا على رضاه كان هذا القصد حائلا بين الانسان وبين الظلم وهضم الحقوق وغـير ذلك مما يغضب الروح العالى فلا يظلم أحدا مثقال ذرة .

(٤) أن تحافظ على مصنوعات الروح العالى التى لست مسلطا عليها بالطبع فلا تضر بدن غيرك ولا بدنك وان تمكنت من انقاذ مريض أو غريق أسرعت الى انقاذه واذا أمكنك اغناء فقير عاجز عن الكسب طالب له من طريق العمل غير متخذ الكسل عادة والتقاعد عنه مع القدرة عليه ديدنا سارعت الى اغنائه .

(٥) أن تبالغ فى شكر الروح العالى والخضوع وان تخصص وقتا لذلك والاتخضع لاحد سواه الا اذا كان فيما يرضى الروح العالى . وحينئذ يكون ظاهر عملك طاعة لهذا السوى وباطنه عبادة للروح العالى لكن لاتصل بعملك هذا الظاهرى الى حد يظن عنده انك مبالغ فى طاعة سوى الروح العالى . ومن هنا يعلم أنه لا يصح السجود والركوع لاحد غير الروح العالى . وغير ذلك مما يدل على أن عملك مقصود به أحد سوى الروح العالى .

(٦) أن تبغض المعاند للروح العالى فان ذلك يدل على اخلاصك لخالقك ورب نعمك .

(٧) أن تصدع بأمر الروح العالى لان ذلك يرضيه بالضرورة . بل هو أخص أنواع العبادات .

﴿ كيف تصل الينا أوامر الروح العالى ﴾

من أخص مايرضى الروح العالى منك أن تأتمر بأوامره وتنتهى

بزواجره . فان ذلك نص صريح فى رضاه وعلم يقين بما وجب له من العبادة . وتنحصر طرق وصول أوامره وزواجره فى أربعة أشياء . وهى ما يأتى :-

(١) أن يكلمك بنفسه . (٢) أن يلهمك فى اليقظة . (٣) أن يوحى اليك فى المنام (٤) أن يرسل اليك رسولا . فمتى لم يختلط عليك كلام المخلوق بكلام الخالق او تلتبس عليك الوساوس والاوهام بالالهام او حكاية الخيال بالاحلام فاقض ما طلب منك . ومتى جاءك الرسول بما فيه اجلال وعبادة للروح العالى وما فيه رضاه مما تقدم ذكره آنفا فاطلبه خصوصا اذا اقام لك من قدرة الروح العالى دليلا على صدقه كان يأتيك بما يعجز المخلوق من اعمال الخالق فان ذلك يدل على ان الخالق مساعد له ومصدق لقوله وعلى كل حال يمكنك الاستدلال على صدقه بمطابقة قوله وفعله لما يناسب وحدة الروح العالى وعظمته وتنزهه عن موجبات الصغر والضعف كمشاركة غيره له فى صفة من صفاته المؤثرة وكحلوله فى بدن انسان او جسم حيوان او جماد الى غير ذلك من صفات النقص .

﴿ بيان ان الروح العالى هو الله ﴾

اصل الله قبل دخول (ال) عليه اله بوزن كتاب . وفعله اله يأله بمعنى عبد يعبد . ومنه اخذ اله بمعنى مالوه اى معبود ككتاب بمعنى

مكتوب و بساط بمعنى مبسوط . واذ ان الروح العالى هو المعبو دون سواه لزم ان يكون هو الله وحده . فالحمدلله على كل حال وعلى البدء والختام .

(تم فى ٨ صفر سنة ١٣٣٢ ـ ٥ يناير سنة ١٩١٤)

ابراهيم السيد اسماعيل